



مفارقة التأويل الإشاري للتأويل الباطني

The paradoxical indicative interpretation
of esoteric interpretation

بحث تقدم به المدرس المساعد

عامر جاسم حمود سرحان

Research submitted

by the assistant teacher

Amer Jassim Hammoud Sarhan



الملخص

الشريعة الغراء جعلت مساحة واسعة للعقل حتى يسبح في بحر الشريعة بفكره ويغوص فيها بوجدانه في قاموس القرآن ليستخرج منه من اسرار المعاني وأنوار المعارف ودرر الحكم ما يعجز عنه الآخرون فهو سر من اسرار القرآن يعطيه الله لمن احب من عباده.

التفسير الاشاري ليس تفسيراً بالهوى او قولاً بلا علم بل هو تفسير منضبط بضوابط الشريعة الغراء كما ان القول به ليس قولاً على الله تعالى.

هناك دلائل تظهر فهم الصحابة رضي الله عنهم لمثل هذا النوع من التفسير ومن اهم تلك الدلائل ما ذكره البخاري في قصة ابن عباس مع عمر بن الخطاب حول تفسير قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح)، ففيها اشارة ملهمة لفهم جديد لا ينقذ لغير من وفقه الله لفهمه .

خصص بعض العلماء تفاسير تخص هذا النوع من التفسير الاشاري وجعلها مقتصرة في الغالب عليه، والبعض الآخر من المفسرين كتب تفسيره بما يوافق ظاهر الآية ثم ذكر بعض الوجوه التي تشمل التفسير الاشاري فمن الأول (تفسير القشيري) ومن الثاني (تفسير الالوسي).

Summary:

Sharia law made a vast space for the mind to swim in the sea of Sharia with his thought and dive.

An indicative interpretation is not an interpretation of love or a saying without knowledge, but rather a disciplined interpretation of the strict rules of Sharia, as saying it is not a saying about God Almighty.

There are indications showing the companions' understanding of this type of interpretation. Among the most important of these is what Al-Bukhari mentioned in the story of Ibn Abbas with Omar bin Al-Khattab about the interpretation of God Almighty's saying: (If Nasrallah and Al-Fath come), then an inspiring indication of a new understanding that is only critical of God's jurisprudence.

Some scholars have devoted interpretations related to this type of indicative interpretation and made it mostly confined to it, while others of the interpreters wrote his interpretation in accordance with the apparent meaning of the verse, then mentioned some aspects that include the indicative interpre-

tation, then the first (the interpretation of Al-Qushairi) and the second (the interpretation of Al-Alusi).

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يَقْدَرُهَا ﴿٣﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: (أنزل من السماء ماء) قال: قرأنا (فسالت أودية بقدرها) قال: الأودية: (قلوب العباد) (٤).

وقال ابن كثير في تفسيره (فسالت أودية بقدرها): (هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علمًا كثيرًا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها) (٥).

وهناك بعض المصطلحات العلمية صارت تحمل سمة خاصّة، سرعان ما يقع في الذهن الجانب السلبي لاستخدام هذا المصطلح، ومن هذه المصطلحات التي يقع فيها ذلك مصطلح (التفسير الإشاري).

والتفسير الإشاري: هو (تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الأمين الذي أوتي جوامع الكلم والقرآن العظيم، الذي أعجز ببلاغته فحول البلغاء، وفتح أذهان العارفين للنهل من مناهل القرآن بإشارات فتحت اسرار القلوب، فاستخرجت من بحور الأنوار درر المعارف والأسرار، فكانت جواهر فتح الوهاب للسالك إلى طريق رب الارباب. وعلى آله وأصحابه أرباب الحجا والرأي الحكيم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن تدبر القرآن والحديث هو ما أمرنا الله به بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالٌهَا ﴾ (١) وبذلك قال النبي ﷺ: «رَبِّ مَبْلَغٍ أَوْعِي مِنْ سَامِعٍ» (٢) والناس يتفاوتون في ذلك تفاوتًا كبيرًا، ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ

(٣) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

(٤) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ: ٢٧٧/٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طبية للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٤٤٧/٤.

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٩: ٢٤/١، كتاب العلم، باب «رب».

«مفارقة التأويل الإشاري للتأويل الباطني»

العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة^(١).

وقد كتب بعض العلماء في التفسير الإشاري سواء سماه بهذا الاسم أو غيره ولكن المضمون في كلا الأمرين واحد إذ أن هذا النوع من التفسير لم يظهر في حتى القرن الخامس، وأول من كتب فيه هو أبو عبد الرحمن السلمي^(٣) في كتابه (حقائق التفسير)، ثم أبو القاسم القشيري في كتابه (لطائف الإشارات) وإن كان القشيري قد استفاد من السلمي فائدة كبرى واقتبس منه كثيراً من آرائه.

ويعدُّ تفسير القشيري^(٢) رحمه الله أجودها وألطفها وأقربها إلى معاني أهل الله وأحراها بتحريك همة وحال السالك.

وقد انقسم العلماء بين مؤيد له ومعارض لذا اقتضى البحث بيان حقيقة التفسير الإشاري وبيان الفرق بينه وبين التفسير الباطني، وماهي الأصول والضوابط

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ٢٨١/١.

(٢) القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري (٣٧٦ - ٤٦٥هـ)، كان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي، سمع أبا عبد الرحمن السلمي، وأبا نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني، له من الكتب آداب الصوفية، والتفسير الكبير المسمى التيسير في علم التفسير. ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، ١٤١٧هـ - ٨٣/١١؛ ومعجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: ١٥٧٠/٤.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي النيسابوري (ت ٤١٢هـ)، قدم بغداد مرات، وحدث بها عن شيوخ خراسان، منهم: أبو العباس الأصب، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، حدثنا عنه: أبو القاسم الأزهرى، والقاضي أبو العلاء الواسطي، كانت له عناية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيراً وسنناً وتاريخاً وجمع شيوخاً وتراجم وأبواباً، وله بنيسابور دويرة معروفة يسكنها الصوفية، وفيها قبره. ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٤٢/٣؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ١٥٠/١٥.

وقد ذهب بعض العلماء الى أنه لا يصح أن نسمي هذا النوع من العلم بالتفسير؛ لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ولكن إلى معنى صحيح في ذاته فلا يصح تسميته تفسيراً؛ لأن التفسير هو إمعان النظر في مراد الله من هذا اللفظ، وما لا يحمله اللفظ لا يُعدُّ تفسيراً بحال من الأحوال؛ لأنه سلب للفظ القرآن لما دل عليه وأريد به.

ولعل هذا مراد الذي وصف تفسير الرازي أنه ليس بتفسير، لما رآه من أقوال للصوفية أحياناً، ولعلماء أهل الكلام تارة أخرى.

وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وستة مباحث وخاتمة:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف التفسير الإشاري.

المبحث الثاني: الفرق بين التفسير الإشاري، والتأويل الباطني.

المبحث الثالث: تأصيل التفسير الإشاري.

المبحث الرابع: أقوال العلماء في التفسير الإشاري.

المبحث الخامس: ضوابط التفسير الإشاري.

المبحث السادس: تطبيقات التفسير الإشاري.

في هذه الدراسة فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

● المبحث الأول:
● تعريف التفسير الإشاري

الإشارة لغة: الأيماء، مصدر أوماً يومئ وأشار اليه، وشور: أوماً ويكون ذلك بالكف وبالعين وبالحاجب، وأشار الرجل إذا أوماً بيديه، وأشار عليه بكذا أمره وهي الشورى^(١).

يقول ابن القيم^(٢): الإشاراتُ هي المعاني التي تُشيرُ إلى الحقيقة من بُعدٍ، ومن وراء حجابٍ. وهي تارة تكون من مسموعٍ. وتارة تكون من مرئيٍّ. وتارة تكون من معقولٍ. وقد تكون من الحواسِّ كُلِّها.

فالإشارات من جنس الأدلّة والأعلام، وسببها: صفاءٌ يحصلُ بالجمعيّة. فيلطفُ به الحشُّ

(١) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ: ٤١٥/١٥. مادة (أوماً).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي (ت ٧٥١هـ)، سمع على التقي سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد / الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م: ١٣٧/٥.

والدَّهْنُ، فيستيقظُ لإدراكِ أُمُورٍ لطيفةٍ، لا يكشفُ حُسَّ غيره وفهمه عن إدراكها.^(١) فالإشارة تأويل وراء التفسير وأعمق منه بما يوضح معاني النص طلباً للوصول الى الحقيقة التي هي الغاية المراد من النص القرآني كله، مخالفاً بذلك ظاهره اللغوي بما اعتمده من دليل أو قرينة.^(٢)

أو هو: تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية، تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة.^(٣) وهذا الشرط الأخير وهو «يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر» هام جداً؛ لأنه يفيد انضباط التفسير بما يحتمله كلام العرب، الذي نزل به القرآن،

(٤) ينظر: معجم علوم القرآن، الجرمي إبراهيم محمد، دمشق - دار القلم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ص ٩٨.

(٥) سورة الكهف، من الآية: ٦٥. ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، العنزي عبدالله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع، مركز البحوث الإسلامية ليدز- بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ص ٣٧٤.

(٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣: ٧٨/٢؛ وموسوعة علوم القرآن، منصور عبدالقادر محمد، دار القلم العربي - حلب، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ص ١٨٨؛ والواضح في علوم القرآن، البغا مصطفى ديب، ومحبي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - دمشق، دارالعلوم الانسانية، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م: ص ٢٣٩، وعلوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، أبو عاصي محمد سالم، القاهرة - دار البصائر، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ص ٩٠.

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت - دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٣٨٩/٢.

(٢) ينظر: الاتجاه اشاري في تفسير القرآن الكريم، الزقة عبدالرحيم، الأردن - المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد (١)، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ص ١٧٧.

(٣) ينظر: المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الحسن محمد علي، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ص ٣٠٠.

ويجب فهمه على وفق كلام العرب، كما يفيد الالتزام بالمعنى الظاهري الأصلي المراد من كلام الله تعالى^(١).

وقال الصابوني^(٢): (التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة).^(٣)

من خلال مجموع التعاريف المتقدمة كلها إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

إشارات الى معنى التفسير الإشاري يمكن استخلاص تعريف يجمع كل تلك التعاريف بعبارة موجزة فأقول: (هو تأويل القرآن بغير معناه

«العواصم والقواصم» جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها .. لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر.

فأصحاب الإشارات لا ينفون - كما ينفي الباطنية وأذئابهم - المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام، والقصص، والمعجزات .. وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني، وعلى طريق الاعتبار، معاني فيها موعظة وذكرى.^(١)

قال التفتازاني^(٢) في شرحه سميت الملاحظة

طراد الزينبي ونصر بن البطر، صنف في الحديث والفقهاء والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ وبلغ رتبة الاجتهاد، مات بفاس. ينظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ: ص ٤٦٨.

(١) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات: ص ٩٠.

(٢) سعد الدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي (٧١٢-٧٩١هـ)، وُلِدَ بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، من أئمة العربية والبيان والمنطق، وأخذ عن القطب والعضد، له تهذيب المنطق في البلاغة وهو أول ما صنّف من الكتب، وكان عمره ست عشرة سنة، وكانت في لسانه لكنة، له مقاصد الطالبين في علم الكلام. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، الهند - حيدرآباد - مجلس دائرة المعارف العثمانية،

باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحظة فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب.

وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة. (ونقل السيوطي في الإتيان عن ابن عطاء الله في لطائف المنن ما نصه: أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر

ط ٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م: ١١٢/٦؛ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت - المكتبة العصرية: ٢٨٥/٢.

المذمومة ولكنني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة غيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضاً عرضة للمصائب^(٤).

ونقل السيوطي عن ابن عطاء الله قوله: (فلا

يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لوقالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم^(٥)).

ونقل السيوطي أيضاً عن التفتازاني قوله: (سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص

وبطن^(١) فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لوقالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم^(٢)). قال الغزالي: (٣) (ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن». الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٨، ٢٦٧/١، رقم الحديث: ٧٥، كتاب العلم، باب ذكر العلة التي من أجلها قال النبي ﷺ: «وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». قال المحقق: (إسناده حسن).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٧٩/٢.

(٣) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أبي عبد الله الطوسي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه وعين وقته وأوانه، قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد الرادكاني، ثم سافر إلى جرجان إلى أبي نصر الاسماعيلي، له إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال. ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب البغدادي: ٢١/٢٧؛ وتاريخ دمشق، لابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ٥٥/٢٠٠.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت: ٤٩/١.

(٥) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ٤/٢٢٧.

الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معانٍ لا تجري على ألفاظ القرآن ظاهراً ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه. وحسبهم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية.^(٣)

• المبحث الثالث:

• تأصيل التفسير الإشاري

وعلى هذا الأساس فإن التفسير الإشاري ليس جديداً في إبراز معاني القرآن، بل هو معروف، قد فسره الصحابة من غير تكبير.^(٤)

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم. قال فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم قال وما زئيته دعاني يومئذ إلا ليبريهم مني فقال ما تقولون (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون) حتى ختم السورة، فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم لا

على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان).^(١)

قال الغزالي: وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم.^(٢)

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور صاحب تفسير «التحرير والتنوير»: أما ما تكلم به أهل

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ/ ١/ ٣٤.

(٤) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر: ص ٩٨.

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٤/ ٢٢٤.

(٢) إحياء علوم الدين: ١/ ٣٧.

وقال أبو المظفر: (وفيه أيضًا ما يدل على أن العلم هو في تدبر القرآن واستنباط معانيه).^(٤) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْئَالَهُمْ﴾^(٥)

وقال الغزالي: «..إذا قلنا في قوله: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة»؛ فهذا ظاهره أو إشارته أن القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم، والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة في القلب، فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور الله لا يقذفه في القلب إلا بواسطة الملائكة. فقلب كهذا لا يقذف فيه النور. وقال: ولست أقول إن المراد من الحديث بلفظ البيت القلب وبالكلب الصفة المذمومة ولكن أقول هو تنبيه عليه. وفرق كبير بين تغيير الظاهر وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظواهر.^(٦)

وقال حسين الذهبي: (ومهما يكن من شيء فإن ظاهر القرآن - وهو المنزل بلسان عربي مبين - هو المفهوم العربي المجرد. وباطنه هو مراد الله

عبدالرحمن بن عبدالرحيم (ت ١٣٥٣هـ)، بيروت - دار الكتب العلمية: ٢٠٨/٩.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، أبو المظفر: يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الدهلي الشيباني عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ: ١٥١/٣.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٦) إحياء علوم الدين: ٤٩/١.

ندرى. أو لم يُقَلْ بعضُهُمْ شيئًا. فقال لي يا ابن عباسٍ أكَذَلِكَ تَقُولُ قُلْتُ لا. قال فما تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعَلِمَهُ اللَّهُ لَهُ (إذا جاء نصرُ اللَّهِ والفتح) فتح مكة، فذاك علامةُ أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنَّهُ كان تَوَّابًا) قال عُمَرُ ما أعلم منها إلا ما تعلم.^(١)

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه: أو فهمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ).^(٢)

وقال المباركفوري: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه أو فهمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ).^(٣)

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ: ١٤٩/٥، رقم الحديث: ٤٢٩٤، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي (٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ: ٧٣٦/٨.

(٣) تحفة الأحوذى، المباركفوري، أبو العلا محمد

تعالى وغرضه الذي يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب، هذا هو خير ما يقال في معنى الظاهر والباطن^(١).

وعلى ذلك نقول: إن كل ما كان من المعاني العربية التي لا ينبني فهم القرآن إلا عليها داخل تحت الظاهر، فالمسائل البيانية، والمنازع البلاغية، لا معدل لها عن ظاهر القرآن، فإذا فهم الإنسان مثلاً الفرق بين «ضيق» في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) .. وبين «ضائق» في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾^(٣).

وقال ابن عاشور: (وعندي إن هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء):

- الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلاً «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه» أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس، ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعى في خرابها بتكديدها بالتعصبات وغلبة الهوى.

وعرف أن «ضيق» صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام في حق من يُرد الله أن يضلّه، وأن «ضائق» اسم فاعل يدل على الحدوث والتجدد وأنه أمر عارض له عَلَيْهِ السَّلَامُ. إذا فهم الإنسان مثل هذا فقد حصل له فهم ظاهر القرآن.

- الثاني: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا

إذن فلا يُشترط في فهم ظاهر القرآن زيادة على الجريان على اللسان العربي، وإذن كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من تفسير القرآن في شيء.. لا مما يُستفاد

(١) التفسير والمفسرون: ٢٦٥/٢.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١٢٥.

(٣) سورة هود، من الآية: ١٢.

(٤) التفسير والمفسرون: ٢٦٥/٢.

فهذا فارق التفسير الإشاري ما قاله الباطنيون من اقوال تصل الى التكفير والخروج عن الشرع الشريف فأهل العلم الذين قالوا بجواز التفسير الإشاري لم يخرجوا به عن حدود الشرع وإنما هي لطائف ونكت^(٥) انقدحت في اذهانهم ورأوا أن القول بها لا يزي بالشرعية ولا يخرج منها بل هو منصب في فهم المعاني المخبئة تحت الفاظ القرآن العظيم فقالوا بمثل هذه التفاسير والتأويلات التي فتحت الباب للتأمل والتدبير في النص القرآني وهو عين ما قاله الباري تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٦).

• المبحث الرابع:

• أقوال العلماء في التفسير الإشاري

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى.

(٥) النكتة: هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان، وسميت المسألة الدقيقة: نكتة؛ لتأثير الخواطر في استنباطها. ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ص ٢٤٦.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٤.

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴿١﴾ من ذا الذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع.

- الثالث: عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظي أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾^(٢) اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً ... وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالتهم^(٣).

(نسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين^(٤)).

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة المزمل، الآية: ١٦.

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/١.

(٤) التحرير والتنوير: ١٧/١.

وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير من هذا قطعة).^(٢)

وقال أيضًا (فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى):

- إشارة حالية: وهي إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه:

- وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال: مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه (فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك فان كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وان كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وان كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات).^(٣)

والواقع أن الموضوع دقيق يحتاج إلى بصيرة وروية ونظرة إلى أعماق الحقيقة ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى والتلاعب في آيات الله كما فعل الباطنية، فيكون ذلك من قبيل الزندقة والإلحاد، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى يعز أن يحيط به بشر إحاطة تامة، وأن كلامه تعالى وضعت فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضي على مدار الأزمان، ويتوالى إعجازه مرة بعد أخرى، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان.

قال ابن الصلاح: (الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظر يذكر بالنظر فممن ذكر قتال النفس في الآية المذكورة فكأنه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم).^(١)

وقال ابن تيمية: (ومتى كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحارثي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ١٠/٥٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٧٦/٦.

(١) فتاوى ابن الصلاح، ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ: ص ١٩٧.

وقال أيضًا: (وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار وهذا حق إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً)^(١).

- وقال ابن القيم: (الإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد، ومن وراء حجاب، وهي تارة تكون من مسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها.

فالإشارات من جنس الأدلة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الصحيح منها: ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى. قلت مثاله قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢)، قال ابن تيمية: والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة... لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر؛ لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها

على الله فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر... ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب، فتوجه المصلي إليها ببدنه وقلبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجه بدنه إلى البيت ووجه قلبه إلى غير رب البيت. وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنا إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل، والله أعلم.^(٣)

وقال أيضًا: (قال صاحب المنازل: قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^(٤) يعني: إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثم نسيت ذكرك في ذكره ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر)... كلام صاحب المنازل يحمل على الإشارة لا على التفسير...^(٥).

- وقال الشاطبي في الموافقات وقد ذكر نماذج من التفسير الإشاري عن سهل التستري: (ولكن له وجه جار على الصحة وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما هوندا في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين:

إحدهما: أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه

(٣) مدارج السالكين: ٤٠٦/٢.

(٤) سورة الكهف، من الآية: ٢٤.

(٥) مدارج السالكين: ٤٣١/٢.

(١) المصدر نفسه: ٢٨/٢.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

وهو أمر خاص وعلم منفرد بنفسه لا يختص بهذا الموضوع فلذلك يوقف على محله، فكون القلب جارا ذا قربي والجار الجنب هو النفس الطبيعي، إلى سائر ما ذكر «التستري» يصح تنزيهه اعتبارياً مطلقاً فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النمط صحيح وسهل جدا عند أربابه غير أنه مغرر بمن ليس براسخ أو داخل تحت إيالة راسخ وأيضا فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعبرين لم يصرح بأنه المعنى المقصود المخاطب به الخلق بل أجراه مجراه وسكت عن كونه هو المراد وإن جاء شيء من ذلك وصرح صاحبه أنه هو المراد فهو من أرباب الأحوال الذين لا يفرقون بين الاعتبار القرآني والوجودي وأكثر ما يطرأ هذا لمن هو بعد في السلوك سائر على الطريق لم يتحقق بمطلوبه، ولا اعتبار بقول من لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم وللغزالي في مشكاة الأنوار وفي كتاب الشكر من الإحياء وفي كتاب جواهر القرآن في الاعتبار القرآني وغيره ما يتبين به لهذا الموضوع أمثلة فتأملها هناك والله الموفق وللسنة في هذا النمط مدخل فإن كل واحد منهما قابل لذلك الاعتبار المتقدم الصحيح الشواهد وقابل أيضا للاعتبار الوجودي فقد فرضوا نحوه في قوله عليه الصلاة والسلام: عن عبيد الله بن عبد الله، أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: سمعت أبا طلحة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب، ولا صورة

لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه (...).^(١) ثم قال: (...) وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك - أي التفسير الإشاري - من الفضلاء وربما ألم الغزالي بشيء منه في الإحياء وغيره وهو مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلين:- منهم من يصدق به ويأخذ على ظاهره ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافة فربما كذب به أو أشكل عليه.

ومنهم من يكذب به على الإطلاق ويرى أنه تقوّل وبهتان مثل ما تقدم من تفسير الباطنية ومن حذا حذوهم وكلا الطريقتين فيه ميل عن الإنصاف).^(٢)

ثم قال: (فنقول: إن تلك الأنظار الباطنة في الآيات المذكورة إذا لم يظهر جريانها على مقتضى الشروط المتقدمة - شروط قبول التفسير- فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني وهو الوجودي ويصح تنزيهه على معاني القرآن؛ لأنه وجودي أيضا فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص فلا يطالب فيه المعبر بشاهد موافق إلا ما يطالبه المربي

(١) الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٢٤٣/٤.

(٢) الموافقات: ٢٥٢/٤.

وقال ابن عجيبة أيضاً: (ثم تلى الشيخ هذه الآية (قل الله ثم ذرهم...) على طريق أهل الإشارة، قل: الله بقلبك وروحك وغب عما سواه ثم ذر الناس أي اتركهم في خوضهم يلعبون أي يخوضون في السوى لاعبين في الهوى، وقد اعترض بعض المفسرين على الصوفية استشهادهم بهذه الآية ولم يفهم مرادهم (قد علم كل أناس مشربهم)^(٧). وقال أيضاً: (وأما تفسير أهل الباطن فهو إشارة لا تفسير معنى).^(٨)

وقال د. حسين الذهبي: (إن الناظر في القرآن الكريم، قد يأخذ من معنى الآية معنى باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه).^(٩)

فهذه أقوال أهل العلم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فمن أجاز التفسير الإشاري فلأنه لم يربه باساً أو خروجاً عن الشرع الشريف بل هو يسير ضمن حدود الشرع وضوابطه، ومن قال بتحريمه والتحذير منه فإنما خشي على الشريعة من تلاعب أهل الزيغ والضلال أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها وقد وجدوا في كل زمان كأمثال الباطنية وأهل الباطل الذين يتصيدون في الماء

تماثيل^(١)، إلى غير ذلك من الأحاديث ولا فائدة في التكرار إذا وضح طريق الوصول إلى الحق والصواب).^(٢)

- وقال الزركشي: (تنبيه: في كلام الصوفية في تفسير القرآن: فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقليل ليس تفسيراً وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدِئِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٣): إن المراد النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه).^(٤)

وقال ابن عجيبة شارح الحكم: (كثيراً ما يستدل الصوفية بهذه الآية ﴿قُلِ اللَّهُ تَرَّ ذَرَّهُمْ﴾^(٥) على الانقطاع إلى الله والغيبة عما سواه وهو تفسير إشاري لا تفسير معنى اللفظ لأنها نزلت في الرد على اليهود... والصوفية، يقرون الظاهر ويقتبسون إشارات خفية لا يعرف مقصودهم غيرهم ولذلك رد عليهم بعض المفسرين حيث لم يعرف قصدهم ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾^(٦).

(١) صحيح البخاري: ١١٤/٤، رقم الحديث: ٣٢٢٥، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال احدكم: أمين والملائكة في السماء.

(٢) الموافقات: ٤٠٤/٣-٤٠٦.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ١٢٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٧٠/٢.

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ٩١.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٦٠. شرح الحكم، ابن عجيبة،

تحقيق عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م: ص ٣٦٦.

(٧) شرح الحكم: ص ٨٠.

(٨) المصدر نفسه: ص ٢١٢.

(٩) التفسير والمفسرون: ٢٦٦/٢.

العكر فقالوا بالتحريم سدا لهذا الباب. لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا، بل ولا يخفى على اللبيب حرص كلا الطرفين على الشريعة الغراء لذا فإن أخذنا به فليكن ضمن الضوابط والشروط التي ذكرها العلماء، وإن منعنا عنه فاحتراما للمحجة البيضاء أن يدنسها من ليس من أهلها.

• المبحث الخامس:

• ضوابط التفسير الاشاري

٣- أن لا يكون له معارض شرعي ولا عقلي. لما علم مما سبق.

٤- أن لا يدعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعتف بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى الإشارة قبل إحكام فهم العبارة، «ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب!!»^(٢).

لما كان التفسير الإشاري إثارة لمعاني كتاب الله تعالى، كان لا بد له من معيار ينضبط به، حتى يتميز عن عبث المتلاعبين بالقرآن تحت ستار اسم باطن القرآن، وهم لا يفسرون القرآن على الحقيقة بل يتلاعبون لهدم الشريعة باسم الشريعة، والمعيار الذي ينضبط به التفسير الإشاري ليكون مقبولا هو الشروط الآتية^(١):

١- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده من غير معارض. وذلك لأنه إن لم يكن للتفسير الإشاري شاهد في محل آخر، أو كان له شاهد لكن له معارض صار دعوى تدعى على القرآن من غير دليل. والدعوى التي لا دليل عليها مرفوضة باتفاق العلماء.

٢- أن يصح التفسير الإشاري على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، وذلك ضرورة كون القرآن عربيا، إنا جعلناه قرآناً عربياً، ولو كان له فهم

قال ابن القيم: (وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب، وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

١- أن لا يناقض معنى الآية.

٢- وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه.

٣- وأن يكون في اللفظ إشعار به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

(٢) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر: ص ٩٩.

(١) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر: ص ٩٨.

وقد أضاف بعض العلماء ما يلي:

- ١- أن يبين المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولاً.
- ٢- ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسر له.^(٤)
- ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطاً لوجوب اتباعه والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن ثم إن له شاهداً يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين.^(٥)
- يقول الشيخ نور الدين العتر: (ومن أمثلة ما وقفنا عليه في هذا العصر في أملية خاصة طبعت في كتاب وإذا فيه تفسير سورة العاديات هكذا: «والعاديات» الريح تجري مستمرة «صبحا» صوتها أثناء جريها «فالموريات» الغيوم «قدحا» تحتك ببعضها فينشأ عن ذلك البرق «فالمغيرات» المغيثة بالمطر «صبحا» تغيثكم غياثاً ظاهراً كالصبح ... وهكذا إلى آخر السورة من عجاب التحريف..!!).

- (فيإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان

استنباطاً حسناً).^(١)

وقال الزرقاني: (مما تقدم يعلم أن التفسير

الإشاري لا يكون مقبولاً إلا بشروط خمسة وهي:

١- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

٢- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

٣- ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيلاً كتفسير

بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

بجعل كلمة لمع فعلاً ماضياً وكلمة المحسنين مفعوله.

٤- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٥- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده، كذلك

اشتراطوا بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن

الاستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع

ويحسن ملاحظة شرطين بدلتهما:

- أحدهما: بيان المعنى الموضوع له اللفظ

الكريم أولاً.

- ثانيهما: (ألا يكون من وراء هذا التفسير

الإشاري تشويش على المفسر له)^(٣).

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية،

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

(ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة -

بيروت: ص ٤٩.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية: ٦٩.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٥٨/٢؛ والواضح في

علوم القرآن: ص ٢٤٠.

(٤) مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من

علوم القرآن الكريم وتفسيره، الأسمري، شايح بن

عبد بن شايح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ص ٥٦.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٨١/٢.

وهذا تحريف مخالف لصريح اللغة، ومصادم لاتفاق المفسرين أن «العاديات» هي الخيل المسرعة تضح «صبحا» وهو اسم صوت الخيل وهي تسرع، فتصدم حوافرها الأرض فتقدهح الشرر «قدحا» فتغير «صبحا» تشن الهجوم على العدو صباحا... هذا هو الصواب في تفسير السورة، وليس ذلك التفسير الذي نقلناه سابقا من الصواب بسبيل، إنما هو تمزيق للنص وعبث به.^(١)

• المبحث السادس:

• تطبيقات التفسير الإشاري

وقال ابن تيمية: (لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين - بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه - ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي: إلا فهما يؤتیه الله عبدا في كتابه، وفي الأثر: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع).^(٢)

وقال ابن القيم: (والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكما أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمانه

وإشارته وتنبهه واعتباره).^(٣)
قال ابن القيم: (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول في قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله عز وجل، ومحبته وحلاوة ذكره، والأنس بقربه في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟).^(٤)

نقل القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقُدْرِهَا ﴾^(٥) قال ابن عباس رضي الله عنه: (أنزل من السماء ماء) قال: قرآنا (فسالت أودية بقدرها) قال: الأودية: قلوب العباد).^(٦)

وقال ابن كثير: (فسالت أودية بقدرها): (هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، بيروت - دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م: ٣٥٤/١.

(٤) مدارج السالكين: ٤٠٦/٢.

(٥) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ٣٠٥/٩.

(١) علوم القرآن الكريم: ص ٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٤٥/١٣.

يضيق عنها).^(١) ما سواه سبحانه (إنك بالوادي المقدس طوى) وهو وادي قدس جلال الله تعالى وتنزه عزته عز وجل، وقيل: النعلان إشارة إلى المقدمتين اللتين يتركب منهما الدليل لأنهما يتوصل بهما العقل إلى المقصود كالنعلين يلبسهما الإنسان فيتوصل بالمشي بهما إلى مقصوده كأنه قيل: لا تلتف إلى المقدمتين ودع الاستدلال فإنك في وادي معرفة الله تعالى المفعم بآثار ألوهيته سبحانه.^(٥)

قال القشيري في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَا عُدْوَانٌ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.^(٢) الإشارة من الآية إلى مجاهدات النفوس فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

أي استوف أحكام الرياضات حتى لا يبقى للآثار البشرية شيء، وتسلم النفس والقلب لله، فلا يكون معارض ولا منازع منك لا بالتوقي ولا بالتلقي، لا بالتدبير ولا بالاختيار.^(٣)

وقال أيضاً في قوله تعالى (فاخلع تعليق) ويقال الإشارة في الأمر بخلع النعلين تفريغ القلب من حديث الدارين، والتجرد للحق بنعت الانفراد.^(٤)

وقال الألوسي: في قوله تعالى (فاخلع نعليك) اترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة وسر مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى ولا تلتف إلى

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، بيروت - دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ: ٥٢٢/٨.

(٦) سورة النساء، من الآية: ٣٦.

(٧) تفسير التستري، التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع (ت ٢٨٣هـ)، جمعه: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت - منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ: ص ٥٣.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت - دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، ١٤١٩هـ: ٣٨٤/٤.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٩٣.

(٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣: ١٦١/١.

(٤) لطائف الإشارات: ٤٤٨/٢.

وقال السلمي في قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^١ إِنْكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى^(١) قال أبو سفيان: اخلع نعليك ليصيب قدمك بركة الوادي والوادي بركة قدمك. وقال الشبلي^(٢): اخلع الكل منك تصل إلينا بالكل، فتكون ولا تكون، فتحقق في عين الجمع بكون أخبارك عنا، وفعلك فعلنا. قال ابن عطاء: اخلع نعليك أعرض بقلبك عن الكون فلا تنظر إليه بعد هذا الخطاب. وقال أيضاً: النعل النفس، والواد المقدس دين المرجان وقت خلوك من نفسك، والقيام معنا بدينك، وقيل اخلع نعليك فإنك بعين موجودك وقال جعفر: اقطع عنك العلائق فإنك بأعيننا، وقال ابن عطاء: اخلع نعليك أي: أسقط عنك محل الفصل والوصل فقد حصلت في الواد المقدس وهو الذي يطهرك عن الأحوال أجمع ويبردك إلى محولها عليك. قيل في قوله: واد المقدس طوى. أي: أطوى عنك بساط المخالفات فقد حصلت في هذا الوادي ومطوية طوى عن قلبه ما لا يكون مقدساً. وقال ابن عطاء: في قوله: ! (اخلع نعليك) ! أي: انزع عنك قوة

الاتصال والانفصال إنك بالواد المقدس أي: بواد الانفراد معي ليس معك أحد سواي.^(٣) وقال ابن عجيبة في قوله تعالى (فاخلع نعليك)، أي: اخرج عن الكونين إن أردت شهود حضرة المكون.^(٤)

وقال إسماعيل حقي: في قوله تعالى (فاخلع نعليك): قال في الاسرار المحمدية جاء في غرائب التفسير في قوله سبحانه فاخلع نعليك يعني همك بامرأتك وغنمك وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره يعني الطبيعة والنفس يقول الفقير لا شك ان المرأة صورة الطبيعة والولد صورة النفس لان حبه من هواها غالباً وايضا ان المرأة في حكم الرجل نفسه لأنها جزء منه في الأصل والغنم ونجوه انما هو من المعاش التابع للوجود فكأنه قيل فاخلع فكر النفس وما يتبعها أيا كان وتعال وقال بعضهم المراد بالنعلين الدنيا والآخرة كأنه امره بالاستغراق في معرفة الله ومشاهدته والوادي

(٣) حقائق التفسير، السلمي، محمد بن الحسين

بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٤٣٦/١ - ٤٣٧.

(٤) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسن بن الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، بيروت - دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ: ٣٨٦/٤.

(١) سورة طه، من الآية: ١٢.

(٢) أبو بكر، الشبلي دلف بن جعفر، ويقال دلف بن جحدر، الصوفي (٤٣٤هـ)، كان الشبلي مولده بسر من رأى، يقول العنبري: سألت أبا بكر الشبلي جحدر بن دلف عن التصوف. فقال: التصوف ترويح القلوب بمراوح الصفاء، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلق بالسخاء، والبشر في اللقاء. ينظر: تاريخ بغداد وذيلوله، للخطيب البغدادي: ٣٩١/١٤.

المقدمتين فإنك وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى ولجة ألوهيته.^(٣) فهذه أمثلة مما قاله العلماء حول التفسير الاشاري ليعلم من خلاله ان هذا النوع من التفسير المنضبط بشروطه ليس خارجا عن الشرع الشريف .

وقد افرد بعض العلماء تفاسيرا متخصصة بهذا النوع من التفسير والبعض الاخر ضمن تفسيره اشارات وعبارات تدل على التفسير الاشاري دون الاقتصار عليه فمن امثله النوع الاول:

- تفسير النيسابوري .
- وتفسير التستري .
- وتفسير محيي الدين بن عربي.^(٤)
- تفسير أبي عبدالرحمن السلمي (حقائق التفسير).
- تفسير أبي القاسم القشيري .
- تفسير أبي محمد الشيرازي (عرائس البيان في حقائق القرآن).
- تفسير ابن عجيبة (البحر المديد).
- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع

المقدس قدس جلال الله وطهارة عزته.^(١) وقال الرازي في قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾^(٢): وأما أهل الإشارة فقد ذكروا فيها وجوهاً، أحدها: - أن النعل في النوم يفسر بالزوجة والولد فقوله: فأخلع نعليك إشارة إلى أن لا يلفت خاطره إلى الزوجة والولد وأن لا يبقى مشغول القلب بأمرهما. وثانيها: المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه أمره بأن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى ولا يلفت بخاطره إلى ما سوى الله تعالى والمراد من الوادي المقدس قدس جلال الله تعالى وطهارة عزته يعني أنك لما وصلت إلى بحر المعرفة فلا تلتفت إلى المخلوقات. وثالثها: أن الإنسان حال الاستدلال على الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه إلا بمقدمتين مثل أن يقول العالم المحسوس محدث أو ممكن وكل ما كان كذلك فله مدبر ومؤثر وصانع وهاتان المقدمتان تشبهان النعلين لأن بهما يتوصل العقل إلى المقصود ويتنقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يبقى ملتفتا إلى تينك المقدمتين لأن بقدر الاشتغال بالغير يبقى محروما عن الاستغراق فيه فكأنه قيل له لا تكن مشتغل القلب وال خاطر بتينك

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر- بيروت- دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ: ١٨/٢٢.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٥٩/٢ وما بعدها.

(١) روح البيان، البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر- بيروت: ٣٧٠/٥.

(٢) سورة طه، من الآية: ١٢.

- العلوم والأحكام، للقصاب الكرجي.
- حجج القرآن، لأبي الفضائل الرازي.
 - الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي.
 - ومن أمثله النوع الثاني وهم ممن ضمنوا تفاسيرهم شيئاً من التفسير الإشاري دون الاقتصار عليه:
 - الكرمانى في غرائب التفسير وعجائب التأويل.
 - والرازي في التفسير الكبير.
 - والطوفي في الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية.
 - والآلوسي في روح المعاني.
 - تفسير إسماعيل حقي (روح البيان)
 - والناظر لمجموع هذه التفاسير يجد أن تفسير القشيري رحمه الله أجودها وألطفها وأقربها إلى معاني أهل الله وأحراها بتحريك همة وحال السالك.

* * *

الخاتمة

من قال بجواز التفسير الاشاري من العلماء فقد أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^(٢) ففيه حث على تحريك همم القلوب والعقول للبحث عن اسرار ومعاني القرآن العظيم. ومن قال بتحريم هذا النوع من التفسير من العلماء فإنما قال بذلك حرصا منه على الشريعة الغراء وحماية لها ممن يدعي معرفة مالم يعرفه النبي ﷺ او صحابته الكرام، لذا فهم اغلقوا الباب كاملا على كل متنطع للقول بما قاله السابقون من الباطنية وغيرهم سدا لذريعة هدم أسوار الدين .

خصص بعض العلماء تفاسير تخص هذا النوع من التفسير الاشاري وجعلها مقتصرة في الغالب عليه، والبعض الآخر من المفسرين كتب تفسيره بما يوافق ظاهر الآية ثم ذكر بعض الوجوه التي تشمل التفسير الاشاري فمن الأول (تفسير القشيري) ومن الثاني (تفسير اللوسي).

* * *

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسائر الصالحين. فقد توصلت في ختام بحثي هذا الى النتائج الآتية:

أن الشريعة الغراء جعلت مساحة واسعة للعقل البشري حتى يسبح في بحر الشريعة بفكره ويغوص فيها بوجوده في قاموس القرآن ليستخرج منه من اسرار المعاني وأنوار المعارف ودرر الحكم ما يعجز عنه الآخرون فهو سر من اسرار القرآن يعطيه الله لمن احب من عباده.

التفسير الاشاري ليس تفسيراً بالهوى او قولاً بلا علم بل هو تفسير منضبط بضوابط الشريعة الغراء كما ان القول به ليس تقولا على الله تعالى .

وهناك دلائل تظهر فهم الصحابة لمثل هذا النوع من التفسير ومن اهم تلك الدلائل ما ذكره البخاري في قصة ابن عباس مع عمر بن الخطاب حول تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾^(١). ففيها اشارة ملهمة لفهم جديد لا ينقذ لغير من وفقه الله لفهمه .

(٢) سورة النساء، من الآية: ٨٢.

(١) سورة النصر، الآية: ١.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،
١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد
الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير
«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من
تفسير الكتاب المجيد» تونس، الدار التونسية
للنشر، ١٩٨٤هـ.

ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن
المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي
الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير
القرآن المجيد بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢،
٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.

ابن عجيبة، شرح الحكم، تحقيق عاصم
الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير
القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تفسير
القرآن العظيم تحقيق: محمد حسين شمس
الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات
محمد علي بيضون، ط ١- ١٤١٩هـ.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم
بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري
الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت،
ط ٣، ١٤١٤هـ.

أبو المظفر: يحيى بن هُبيرة بن محمد بن
هُبيرة الذهلي الشيبانيّ عون الدين (ت ٥٦٠هـ)،
الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد

المصادر والمراجع

* بعد القرآن الكريم.

ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو،
تقي الدين (ت ٦٤٣هـ) فتاوى ابن الصلاح تحقيق:
د. موفق عبدالله عبد القادر، بيروت، مكتبة العلوم
والحكم، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد
شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) إعلام
الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد
عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية -
بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن
سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)
، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد
الفاقي، بيروت، دار المعرفة.

ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد
شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مدارج
السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،
تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت،
دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد
الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى،
تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،
المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية،

- المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ
- أبو عاصي : محمد سالم، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، القاهرة، دار البصائر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م
- الأسمرى: شايح بن عبده بن شايح، مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، السعودية، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م
- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، (صحيح البخاري) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البروسوي: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ) روح البيان، بيروت، دار الفكر.
- البغا: مصطفى ديب، ومحى الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، دار العلوم الانسانية، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
- الأسمرى، أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع (ت٢٨٣هـ) تفسير التستري جمعه: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١ - ١٤٢٣هـ.
- الجرمي: إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م
- الحسن: الدكتور محمد علي، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ) ، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة.
- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الزرقاني: محمد عبدالعظيم (ت١٣٦٧هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- الزقة: عبدالرحيم، الاتجاه الاشاري في تفسير القرآن الكريم، الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الاسلامية، المجلد الثالث، العدد (١) ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

- السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن (ت ٤١٢هـ)، حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين بيروت، دار المعرفة.
- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ) الموافقات تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣.
- الصابوني: محمد علي، التبيان في علوم القرآن، عالم الكتب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٥م.
- المباركفوري: أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوزي، بيروت دار الكتب العلمية.
- عنز: نور الدين محمد الحلبي، علوم القرآن الكريم، دمشق، مطبعة الصباح، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- منصور: عبد القادر محمد، موسوعة علوم القرآن، حلب، دار القلم العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- العنزلي: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب يعقوب الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، بريطانيا، مركز البحوث الإسلامية ليدز، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

* * *